الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مظاهر و أشكال القهر في رواية ريح الجنوب

لـ: عبد الحميد بن هدّوقة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:
.بوبصلة توفيق
.عبوعبد الحكيم
.بوالصيود اسمهان

إشراف الأستاذ:
الدكتور: مودع سليمان

السنة الجامعية:2012/2011

دعاء

اللهم لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت .بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح.

اللهم إذا أعطيتنا نجاح فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا .

اللهم زدني علما ولا تزع قلبي بعد أن هديتني وعب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

ربنا تقبل منا الدعاء

أمين

شكر وتقدير

انطلا الى
الأستاذ المشرف " بن ساري مسعود" على ما قدمه لنا من نصخ وتوجيهات طيلة انجاز هذه المذكرة فلم يبخل علما ولا جهدا في سبيلها فكان لنا نعم الموجه والمرشد فشكرا أستاذي .

ونتقدم بخالص الشكر وفائق التقدير إلى الذي مدني من منابع علمه الكثير وقدم لنا كل المساعدات والإرشادات الأستاذ "بوعجاجة سليم"

كما نتقدم بالشكر الى من كان لنا عونا في بحثنا هذا ونور يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا وزرع التفاؤل في دربنا الأستاذ "صويلح عبد المجيد"

فشكرا أستاذي
وبارك الله فيكم جميعا .

الخطة

مقدمة :

الفصل الأول : البنيوية الشكلية في الرواية .

❖ مدخل عام.

- مفهوم القهر.
- أنواع القهر.

❖ المبحث الأول : الشخصيات القاهرة على مستوى الوظائف.

❖ المبحث الثاني : الشخصيات القاهرة على المستوى النفسي و الاجتماعي.

❖ المبحث الثالث : الشخصيات المقهورة على مستوى الوظائف

❖ المبحث الرابع : الشخصيات المقهورة على المستوى النفسي و الاجتماعي.

❖ المبحث الخامس : قهر المكان والزمان من خلال الرواية .

الفصل الثاني : الحركة المضادة لتدهور القيم في المجتمع.

❖ المبحث الأول : المظهر الاقتصادي والاجتماعي والتاريخي في ريح الجنوب.

❖ المبحث الثاني : دراسة "لوسيان غولمان" للبنية الدلالية داخل الرواية.

خاتمة.

- قائمة المصادر و المراجع .

مقدمة:

يعتبر "ابن هدوقة" من الروائيين الجزائريين الدين ساهموا في تطور الرواية الجزائرية المعاصرة و دلك منت خلال إسهاماته و أعماله الأدبية ، و كمثال على دلك نأخذ رواية ريح الجنوب و التي كانت موضوع دراستنا .

حيث نكشف فيها عن صور و أشكال القهر و الذي يعد عاملا أساسيا في تخلف المجتمع الجزائري مند الحقبة الاستعمارية.

و يعود سبب اختيارنا لهدا الموضوع إلى أسباب ذاتية ،و أخرى موضوعية؛ أما الذاتية فهي الرغبة في دراسة الرواية الجزائرية و التشهير بقيمة الأدب الجزائري بصفة عامة، إضافة إلى تنمية روح البحث، أما الموضوعية فهي القيمة العلمية الكبيرة و إبراز أثر القهر في المجتمع بكل صوره و أبعاده.

وعن المنهج المتبع في هده الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج البنيوي التكويني و الذي يعتني بدراسة الشخصيات و الوظائف المسندة إليها .

و عليه عملنا على وضع إشكالية تبنى عليها هده الدراسة؛ ما هي الآثار التي يتركها القهر و انعكاساتها على المجتمع؟.

و قد قمنا بهده الدراسة وفق خطة، تتضمن فصلين رئيسيين، فصل نظري و آخر تطبيقي ، حيث يحتوي الفصل الأول على خمسة مباحث، تناولنا فيها مدخل عام نعرض فيه مفهوم القهر،و أنواعه ، كما تناولنا الشخصيات القاهرة على مستوى الوظائف،كما حددها غريماس ،ثم الشخصيات القاهرة على المستوى النفسي و الاجتماعي،إضافة إلى الشخصيات المقهورة على مستوى الوظائف،ثم الشخصيات المقهورة على المستوى النفسي و الاجتماعي، كما تطرقنا إلى التعريف بكل من قهر المكان و قهر الزمان.

أما الفصل الثاني، فقد تناولنا فيه المظهر الاقتصادي و الاجتماعي، و التاريخي من خلال الرواية، إضافة إلى الحركة المضادة لتدهور القيم في المجتمع الجزائري من خلال الرواية،من خلال دراسة "لوسيان غولدمان" للبنية الدلالية داخل الرواية.

كما قمنا بوضع خاتمة لدراستنا هده،من خلال الوقوف عن الآثار و النتائج التي يتركها القهر داخل المجتمع بصفة عامة و المجتمع الجزائري خاصة.

كما نتوجه بالشكر الموصول و العرفان، إلى كل من ساهم في إنجاز هدا البحث من قريب أو من بعيد،و نخص بالذكر الأستاذ المشرف؛ الدكتور: مودع سليمان، و كذلك الأستاذ رضا عامر، و كل الدين لم يسعنا المجال لذكرهم.

الفصل الأول
البنيوية الشكلية في الرواية .

مدخل عام:

تعد رواية "ريح الجنوب"، لـ "عبد الحميد بن هدوقة" من الروايات الجزائرية التي شدت الانتباه ونالت الاعتراف و التقدير، كونها ساهمت في إثراء الرصيد الأدبي الجزائري،حيث أنها خضعت للمقاييس العالمية في مجال الرواية، و اعتدت من الروايات التي تطبق عليها الدراسات النقدية من قبل الدارسين.

ففي هدا الموضوع تم تناول بعض المفاهيم و المتمثلة في القهر،و أشكاله و أنواعه، دلك أن القهر هو الاستبداد و الاستغلال، و الإطاحة من قيمة الشخص المقهور،و إذلاله و السيطرة عليه، و احتقاره احتقارا كبيرا، و يقوم القهر على عناصر أساسية هي: القاهر، المقهور و موضوع القهر؛ أما القاهر فهو الذي يقوم بممارسة القهر من خلال الاستبداد و الاستغلال، و المقهور هو الذي يقع عليه فعل القهر و يكون دائما في ثوب الضحية، أما موضوع القهر فهو دلك المجال الذي يمارس فيه القهر.

كما تضمنت هده الرواية أيضا شخصيات قاهرة، و أخرى مقهورة ؛ حيث يمثل كلا من "ابن القاضي" ؛ و هو شخصية إقطاعية – حركي-، لأنه أساء للثورة من خلال الممارسات التي قام بها ، و هو الذي كان يقدم معلومات عن الثورة و المجاهدين للمستعمر، و دلك طمعا في المحافظة على أملاكه و كسب المزيد من المزايا، و التقرب من أصحاب النفوذ و السلطة، أما الشخصيات المقهورة، فهي المرأة في صورة الزوجة ،و البنت و حتى الأم.

أما عن أشكال القهر، فهناك القهر السياسي؛ و الذي يهدف للحفاظ على الأملاك و كسب المزيد من النفوذ و السلطان، كذلك نجد القهر الاجتماعي؛ الذي يتمثل في الفقر والجهل، كل هده الظروف ساهمت في ترك الإنسان الريفي يعيش في نوع من القهر فاقدا للحرية و هي من أبسط الحقوق، إضافة إلى دلك نجد القهر الاقتصادي؛ و غرضه استعباد العمال و دفع حقوقهم منقوصة، نضير عملهم في تلك الحقول الزراعية بأجور زهيدة، زيادة عليه فهنالك القهر النفسي؛ ودلك من خلال حرمان المرأة من الحرية في التعبير عن رأيها أو تقرير مصيرها، و عن أسبابه فتتمثل في اختلاف الظروف بين الحياة في المدينة و حياة الريف.

مفهوم القهر:

لغة: القهر هو الغلبة والأخذ مما فوق، والقهار من صفات الله عز و جل.قال الأزهري: و الله القاهر القهار، و القهار قهر خلقه بسلطانه وقدرته و صرفهم على ما وراء طوعا وكرها، والقهار للمبالغة، وقال ابن كثير :القاهر هو الغالب جميع الخلق، وقهره يقهره قهرا :غلبه، وتقول :أخذتهم قهرا أي من غير رضاهم ، وأقهر الرجل : صار أصحابه مقهورين، وأقهر الرجل :وجده مقهورا.[1]

وقال الخبل السعدي يهجو الزيران :

وقومهم وهم المعروفون بالخداع تمنى حصين أن يسود خداعه

على ما يسمى فاعله أي وجد كذلك، والأصمعي يرويه :قد أذل وأقهر: أي صار أمره إلى الذل والقهر، وفي الأزهري :أي صار أصحابه أذلاء مقهورين وهو في قياس قولهم: احمد الرجل صار أمره إلى الحمد، وحصين : اسم الزيران، وخداعه رهطه من تميم، وقهر : غلب

وفخذ قهرة :قليلة اللحم ، والقهيرة: محظ يلقى فيه الردف، فإذا غلى ذر عليه الدقيق وسيط به ثم أكل ، قال ابن سيده :وجدناه في بعض نسخ الإصلاح ليعقوب .

والقهر :موضع ببلاد بني جعده ، قال النسيب ابن علس: سفلى العراق وأنت بالقهر، ويقال :أخذت فلانا قهرة، بالضم ، أي اضطرارا، وقهر اللحم إذا أخذته النار وسال ماؤه وقال :

فلما أن تلهوجنا سواء به اللهبان مقهورا ضبيحا

يقال: ضبحته النار و ضبته فقهرته إذا غيرته .

ب:القهر اصطلاحا:

القهر هو الظلم و التسلط و الاستعباد و حرمان الشخص من أبسط حقوقه الشرعية ألا وهي الحرية .

[1]- خالد رشيد القاضي لسان العرب،دار الصبح للنشر ، ط1-ج 11،بيروت،الدار البيضاء(1)،ص303-304

ويتجلى القهر في العديد من المواطن، ونجده مثلا في المستعمرات أو المستدمرات، فالمستعمر هنا يقوم بالظلم والقتل و الإهانة ،وانتهاك الحرمات،وقتل الأبرياء وترميل النساء وتيتيم الأطفال،إضافة إلى حرمانهم من العيش في وطنهم الذي هو حقهم الذي لا ريب فيه، كما تفرض عليهم قوانين جائرة في حق ممتلكاتهم وأعمالهم واستغلالهم كل الاستغلال من أجل تحقيق المصالح الاإقتصادية و السياسية و العسكرية ،والضغط عليهم بكل الطرق والوسائل كسياسة التجويع.

والقهر أيضا هو التحكم في الإنسان (المقهور)، ماديا أو معنويا؛ فماديا يحرمه من حقه في عمله أو في تعبه، أما معنويا فيحرمه من الحياة الهنيئة، و السعيدة في أسرته وذلك بالتهديدات و الضرب و استعمال القوة لاستسلام المقهور .

و القهر اصطلاحا : هو السلطة Autority ،مفهوم أخلاقي يشير إلى النفوذ المعترف به كليا لفرد أو لنسق من جهات النظر، أو تنظيم مستند من خصائص معينة ،أو خدمات معينة مؤداة، وقد تكون السلطة سياسة أو أخلاقية أو علمية أو ما إلى ذلك، ويتفق هذا على مجال النقود، كما أن وجود جهاز السلطة هو شرط جوهري بحسب النظرية الماركسية – التطور التطبيق التاريخي الاجتماعي وقد تؤدي إساءة استخدام السلطة في التحليل النهائي إلى فقد الثقة في السلطة أو إلى العبادة العمياء لها، و التي تؤدي إلى عبادة الشخصية .

أما السلطة العامة، فهي إحدى الخصائص السياسية للدولة ،كتنظيم يتميز عن التنظيم القبلي الذي سبق ظهور الطبقات [1] ،والسلطة بهذا المعنى تختلف عن مفاهيم أخرى عدة ،مثل القوة : power ، ومفهوم النفوذ influence، فهو أقرب إلى الضبط و السيطرة Control ،ولكنها ترتبط بالقوة ارتباطا وثيقا .

[1]- لجنة من الأكادميين السوفييت أبو الفضل جلال الدين بن المنظور :لسان العرب ،ص 2048- 249.

ذلك أن من تمارس عليهم السلطة فعل (القوة) يعتقدون ان مستخدم هذه القوة -power Wielder يملك حقا معنويا لممارسة القوية واستخدام العقوبات اذا استدعى الأمر[1] .

إن بنية المؤسسات السياسية في الديمقراطيات الليبرالية تركز على مبدأ شهير، هو مبدأ فصل السلطات للأجهزة الحكومية، مستقلة الواحدة عن الأخرى، ونظرية فصل السلطات وتستند هذه الاستقلالية المتبادلة للأجهزة الحكومية إلى واقع أنه يوجد في الدولة وظائف جوهرية ومتباينة من حيث طبيعتها، ولا يمكن أن تقاس إلا منفصلة بعضها عن بعض، وتقسم الدولة طبيعيا إلى سلطات عدة، علما بأن هذه العبارة تعني في آن واحد الجهاز والوظيفة التي يمارسها .

إن التجديد الذي تتبعه النظرية الليبرالية يميز بين الوضعية التشريعية law-miking ،التي تصنع القوانين وتوكل إلى البرلمانن و الوظيفة التنفيذية law-inplementing، التي تنطوي على تطبيق القوانين وتوكل للحكومة ،و الوظيفة القضائية law-adjuecladieation، ومهمتها حل النزاعات الناتجة عن تطبيق القوانين، وتوكل للمحاكم .

وهذا المفهوم الفلسفي القانوني للسلطات يشكل تبريرا إيديولوجيا لهدف سياسي، هو إضعاف الحكم والسلطات وتقليص سلطاتهم، وهو ينطوي على ظاهرتين: الأولى هي فصل البرلمان عن الحكومة،والثانية هي فصل القضاء عن الحكام[2].

أنواع القهر:

يحصي علماء الدين و الاجتماع، و النفس نوعان للقهر هما: قهر مادي و قهر معنوي.

القهر المادي:

هو الظلم و الحرمان من حقوق و أموال الأشخاص و أكثر شيء يقهر هو الظلم،و هذا مفهوم ديني عموما،أما المفهوم النظري و الحقيقي هو التحكم في ممتلكات الغير كالتصرف

[1] - بيترغيل وجيفري بوتون،مقدمة في علم السياسة ترجمة محمد مصالحة –عمان منشورات الجامعات الأردنية سنة 1991،ص 75

[2]- ثناء فؤاد عبد الله،أليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية سنة 1997،ص 25-24 .

في المعاش الفردي داخل المجتمع أو فرض ضرائب غير لازمة بقدر كبير يحفظ كثيرا من المعاش لدى الفرد الواحد،كما نجد أيضا النظام الإقطاعي الدي كان بعض ملاك الأراضي و استغلال ألقابهم بأثمان زهيدة، و هذا ما يسبب الانحطاط و الهبوط الاقتصادي داخل البلدان في العالم ككل،و القهر المادي يدخل ضمن الإطار الثقافي لأنه له دور كبير في ذلك، فما تشتمل عليه من عناصر مختلفة مثل العادات و التقاليد و الأعراض و الأخلاق و المشاعر و الأفكار و القيم و الأديان و القانون.

فالثقافة تعد محددا من محددات سلوك الأفراد الاعتقادي و القومي لأنها غالبا ما تحدد عادات ولغات ،و قيم بل و معتقدات و أديان الناس، وفقا أو طبقا للثقافة التي ينشؤون عليها.

وما ترجحه المعرفة البشرية الحالية، هو أن السلوك البشري الفردي و الجماعي هو سلوك معقد و متعدد العوامل، فهناك العامل الغريزي و المرضي والعامل الوراثي و الاقتصادي، و عامل القهر المادي،و تمارس هذه العوامل أدوارا مختلفة ،تتزاوج عموما بناءا على شدة أو قوة التأثير بين الدور السياسي و الثانوي ،حيث أن الثقافة كما سبقت الإشارة كل مركب من عناصر عديدة مختلفة ،لكل منها دورها و أثرها، و لا يكاد السلوك البشري يخلو من تأثير بعض تلك العناصر، فإن الدور الكلي للثقافة و الذي يمثل الحصيلة النهائية لتأثيرات مختلف عناصر الثقافةِ يعد دورا رئيسيا في جانب السلوك البشري،فرديا و جماعيا.[1]

القهر المعنوي:

هو فكر متسلط ، و القهر سلوك جبري يظهر بتكرار و قوة لدى الشخص المريض نفسيا ،و هو أيضا سلوك مضاد للأخلاق و تعاليم الدين الإسلامي، لأن من شيم المسلم الرحمة و السلم و العطف و الرفق ،**لقوله تعالى:"ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"صدق الله العظيم.**

[1] -mansourdia logue/Arabie/lecsM20(6)

و القهر بمفهومه العام: هو السيطرة و الخضوع و الامتثال لأوامر السلطة الحاكمة ، و يعد القهر المعنوي أشد وقعا و أثرا و ضررا من المادي، ذلك أنه يمس النفس أو يتحكم فيها و في رغباتها بشكل خاص أو عام، و القهر المعنوي تعريفه الدقيق: هو الامتثال، والامتثال بمفهومه في الواقع هو انحطاط الوعي الديني على المستوى الجمعي و سيطرة الأحادية كانعكاس لنمطية المعرفة التلقينية للمجتمع، و الحلقة الأضعف في التصور الاعتقادي، و التي من خلالها تنفد الإيديولوجية أو الإيديولوجيات السلطوية، لتدير وتحيك كل ألاعيب الصراعات الحياتية بالمعنى الواسع لكلمة صراع ،فعلى المستوى السلطوي السياسي يتيح مفهوم الامتثال إزاحة الله بمنتهى الهدوء لصالح السلطة و الطبقة المهيمنة، والتي تجيز الامتثال في هذه اللحظة لمصلحتها و بما يتفق و يدعم أطروحتها المهيمنة،و لدا تشتد بالمطالبة بدات الامتثال للإرادة الإلهية ، و الرضوخ لمشيئتها العليا،و بذات الصبر و اليقين المتوجه به إلى الله - السلطة-،و هدا بالنسبة قهر الحكومة،أو القوة المتسلطة عليه،و المتحكمة فيه،و هدا النموذج التي تقف عليه ديمومة التقاليد و الثقافة خاصة في بعض القرى العربية و الإسلامية بأكثر المعاني عمقا لمصطلحي ثقافة و تقاليد،و دالك من خلال ميكانيزمات عملها في تعبير المعنى الامتثالي لصالح الهيمنة الأبوية العائلية،و التوغل في مصير الأبناء و التحكم في كل التفاصيل الحياتية،دلك أن غرض الآباء في هده الحلة هو تلك الذهنية الهادفة إلى مصادرة حق الأبناء في اختيار مستقبلهم الأكاديمي مثلا، و الذي يجب أن يخضع لإرادة الامتثال لـ (رب) العائلة ،فهو المعني وحده بتحديد وجهة المستقبل لأبنائه، و قد يتعدى دالك إلى التدخل في خصوصيات أخرى كالزواج مثلا، حيث يجب ألا يخرج الأبناء من الطوع و توكيل الأمر لرب العائلة ليقرر و يختار شريك الحياة المناسب[1].

[1]- عبد الخالق السر،الحوار الممتد – العدد 1870.كتاب الشهري المصالحة و التعايش،في صحة ممات اصراع سنة 2007 .

المبحث الأول

الشخصيات القاهرة على مستوى الوظائف:-كما حددها "غريماس"-:

لقد حدد "غريماس" أدوار الشخصيات في البنية السردية كما يأتي :

*سبق اشتغال البنية العاملية في المسار التوليدي :قسم "غريماس" المسار التوليدي إلى بنيتين رئيسيتين، بنية سيميائية سردية و بنية خطابية والبنية السيميائية السردية تنقسم بدورها إلى بنيتين فرعيتين: بنية عميقة للمربع السيميائي أي البنية الأولية للدلالة ،وبنية سطحية سردية ،فالأولى مجردة و الثانية من المحاشية و التجلي(بين – بين) أما البنية الخطابية فهي متجلية متمظهرة .

يقع العنصرين معا(النموذج العاملي و الخطابة السردية) في البنية السردية السطحية و هي بنية عاملية تعد و سطا بين ما هو متجل متفرد و ما هو موكل في التجريد و التعميم يقدم النص على مستوى البنية العاملية بوصفه سلسلة من الحالات بالكينونة، و تعود التحولات إلى الفعل و الظهور يفرض هذا الاختلاف و جود ملفوظين: ملفوظ حالة؛ يتعلق الأمر بالعلاقة بين الذات و الموضوع و نرمز له بالرمز (ذم)، و ملفوظ الفعل يرتبط بالتحولات في هذه العلاقة،أما اتصالا أو انفصالا يلزم في ذلك ملفوظين للحالة:

- ملفوظ حالة اتصال و يكون العامل الذات متصلا بالعامل الموضوعي ،نرمز للاتصال بالرمز∩حيث ع ذ∩ع م.

- ملفوظ حالة انفصال يكون فيه عامل الذات منفصلا عن العامل الموضوعي، و نرمز للانفصال بالرمز:∪حيث ع ذ ∪ع م.

أمّا ملفوظ الفعل أو التحول فيرتبط بالانتقال من حالة إلى حالة أخرى، حيث نجد شكلين من التحول: تحوّلا للاتصال؛ يتم فيه الانتقال من حالة اتصال إلى حالة انفصال، ونمثل لها بالعلاقة:ع ذ∩ع ،ع ذ∪ع م.

يشير السهم إلى التحول من حالة اتصال إلى حالة انفصال،ويسمي "غريماس" تتابع الحالات و التحولات برنامجا سرديا يرتبط بالعلاقة (ع ذ – ع م)و تحولاتها الاتصالية أو الانفصالية و هذا التحول -أي القيام بالبرنامج السردي- يتطلب فاعلا إجرائيا مؤنسا، و مادام هناك حالة تحول فالفاعل الإجرائي إما أن يكون فاعل الحالة في حالة اتصال أو انفصال بموضوع القيمة. فالعلاقة(ع ذ – ع م)تحدد مفهوم الحالة أو فاعلا لحالة.[1]

فاعل الفعل:التحول في العلاقة إما بالاتصال أو بالانفصال، نرمز لفاعل الفعل بالترسيمة العامة الآتية: فا ف[(ع ذ∪ع م)] (ع ذ∩ ع م)،يرمز(فا ف)إلى فاعل الفعل،و (ع ذ)إلى العامل، و (ع م)إلى العامل الموضوعي،و السهم إلى التحول و (∩) إلى الاتصال و(∪)إلى الانفصال.

يتطلب هذا التحول إنجاز PREFERMANSE ،وأن تحقيق التحول من قبل الفاعل الإجرائي يفترض أن يكون هذا الأخير محفزا من قبل عامل آخر هو **المرسل Destinateur**، حيث يقنعه فيقتنع بالإنجاز، و نسمي هذه العملية **تحفيزا**،ولا بد بعد ذلك للعامل الذات أن يملك الشروط الضرورية لإنجاز الفعل وفق قيم جيهية Modalité

[1]- يميولوجيا الشخصيات السردية ، سعيد بنكراد،عماد،دار مجدلاوي،سنة 2003،ص،74.

أجملها **"غريماس"** في أربعة قيم وجوب الفعل vouloir faire، نسمي هذه الشروط و القيم الجيهية بالقدرة.

تعد القدرة موضوعا يمكن أن يكون الفاعل الإجرائي ممتلكا له أولا و هذا الموضوع بوصفه كذلك ليس المطلوب الرئيس للإنجاز،لكنه شرط له لذلك سمي موضوعا استعماليا أو موضوعا جيهيا Model objet ،لأنه مرتبط بتحقيق القيم الجيهية السالفة، أما الموضوع الرئيسي فيسمى القيمة(الموضوع)،ذلك أنه مرتبط بالإنجاز و العلاقة **(ع ذ-ع م)**أي مجموع الحالات و التحولات (البرامج السردية) التي يقوم بها العامل الذات في بحثه عن عامل القيمة.

و قد ينجح العامل الذات في برنامجه السردي أو يفشل لأنه في بحثه عن موضوع القيمة لا يجد الطريق ممهدا بل هناك عوامل أخرى تسمى **معاكسة Opposante**، حيث تعيق العامل الذات، إذ تقوم ببرامج سردية مضادة Anti-programmes narratifs ،فإذا استطاع العمل الذات الفاعل الإجرائي غلبة العوامل المعيقة بواسطة أهليته و العوامل المساعدة نجح في الحصول على موضوع القيمة و إلا فلا[1].

***المواقع والمسارات والبناء العاملي للشخصيات من خلال دراسات "غريماس":**

إنّ البنية العاملية كعنصر تركيبي لا تقوم لها قائمة إلاّ من خلال عملية التقليص هته، والتقليص يعني– من جملة ما يعني – التخلص من كل العناصر التي لا يشكل حدفها أي إخلال بالقصة، والاحتفاظ بالعناصر التي تشكل القوائم الرئيسية للهيكل الروائي (فإذا طلبت من شخص أن يعطيك ملخصا لرواية سوى أن تطلب منه القيام بعملية تقليص لهذا الكون المترامي الأطراف) وعملية التقليص هته تتم من خلال:

أ- القيام بتجميع الممثلين و تحديد وظائفهم و مواصفاتهم ثم إدراجهم في أقسام تمثل محاور دلالية خاصة.

ب - إذا كان اعتمادنا على المواصفات هو السبيل الذي قادنا إلى استخراج سلسلة من الصفات التي تمّ تكثيفها بعد ذلك في محاور دلالية ، فإنّ اعتمادنا على الوظائف هو الذي يشكل نقطة الانطلاق نحو مقاربة واستخراج بنية دلالية عامّة منظمة للحكاية، تختصر وتكثف كلّ ما يتعلق بأفعال الشخصيات في محاور دلالية محدودة العدد والقيمة . فالبنية العاملية باعتبارها استعادة استبدالية لمجموع الوظائف المسجلة داخل الرواية، هي في المقام الأوّل تعميم لبنية تركيبية. فالعامل ليس تحديدا لمضمون قيمي فحسب بل إنّه أيضا قاعدة لمعالم سياقية.

وانطلاقا من هذه القاعدة يبنى العامل كإمكان لإجراء ما، فطابعه كقوى ساكنة آت من وضعه الصوري، في تقابله مع الوظيفة باعتبارها ديناميكية قابلة للوصف[1] .

إنّ التمييز داخل هذا التمييز التعميمي بين قوّة ساكنة وأخرى ديناميكية يحيلنا على نمطين متمايزين للوجود في حياة العامل النصية، ولكلّ نمط وضعه الخاص ، فالعامل يتجدد في جهة بدوره العاملي، ويتحدد من جهة ثانية بوضعه العاملي ، فإن كان الدور العاملي يتشكل من العناصر التي تضاف في إحدى مراحل المسار السردي إلى ما يشكل العامل من خلال

التطور التوزيعي للخطاب، فإنّ الوضع العاملي هو ما يحدد العامل داخل كلية المسار، سواء كان هذا المسار معطى بشكل صريح أو معطى بشكل ضمني[2] .

ارتأى "غريماس" إدخال الماضي والحاضر داخل الرواية، واعتبر استمرار العنصر الماضي كمحدد للعنصر الحاضر، وحينها سيكون المسار شكله العادي هو:

- ذات ممكنة > طرح حالة النقص.
- ذات محينة> البحث عن المال لانقاد النقص .
- ذات محققة > الحصول على المال وإلغاء حالة النقص.
- ذات ممجدة > الاقرار بانتصار الذات .

وإمّا سيكون هذا الحاضر نقطة تواصلية واستمرارية، أي إلغاء الماضي كعنصر فاعل في الحاضر ،وبناء زمن جديد ولحظتها ستكون أمام مسار آخر.[1]

***المواصفات والوظائف والأدوار المتممة:**

إذا كان بإمكاننا تحديد أي برنامج سردي بأنّه انتقال من حالة بدئية إلى حالة نهائية، فإن أي فعل يقوم بتجسيد هذا التحول يجب أن يبنى على حالة سكونية تبرره وتمنحه عمقه ومقروئيته، والمواصفات المسندة إلى شخصية ما تقوم في حالتها على حالة معينة في الوقت نفسه بتحديد مسبق لمجموعة من الإمكانات الخاصة بالفعل، من هنا يمكن القول بأن أية مواصفة بحكم نمط تشكلها، قابلة لأن تتحول إلى وظيفة بمجرد طرحها كعنصر محدد لكينونة شخصية ما.

إلاّ أن المواصفات التي تعد تسنينا سلوكيا سابقا في الوجود على عملية استنادها إلى شخصية ما.

المبحث الثاني :

الشخصيات القاهرة على المستوى النفسي و الاجتماعي :

يطغى على المجتمعات العربية عامة و الجزائري خاصة عامل العادات و التقاليد و الأعراف ،أما القرى و المداشر فلا نظام يحكمها سوى هذا النظام ،فأصحاب الأملاك العامة و الخاصة ورؤساء البلديات و الشيوخ و الزعماء لأية دشرة أو قبيلة يملكون مسؤوليات تطغى عليهم و هم بدورهم يطغون على سكان هذه المناطق ،و كل سلطة تقهر الدرجة أو المستوى الذي تفوقه ،و هذا ما تجلى لنا أثناء و بعد قراءة رواية"ريح الجنوب"،فيما يخص القهر و الشخصيات الممارس عليها و الممارسة له.و القهر مستويات ،فهناك القهر النفسي و الاجتماعي أي القهر المادي و المعنوي لأنهما الأبرز .

[1]- crimas :les aeqius et les projets in courtés,induction à la sémantique narralur p.19

فمن الشخصيات القاهرة نجد "مالك" شيخ البلدية ،و المتحكم في النظام الاقتصادي للقرية و الذي يصدر يقوم بإصدار القوانين المجحفة في حق السكان .

كما نجد "ابن القاضي" الإقطاعي الحركي ،والد البطلة "نفيسة" ،صاحب الأراضي وبعض الأملاك جعله يستعبد كل من يقربه سواء زوجته أو ابنته أو حتى الرعي"رابح".

فزوجته التي هي الفاعلة لأوامره بدون نقاش أو ملل ،و التي تعرضت لمحو شخصيتها كامرأة و حرمت من حقها كشريكة في الحياة الزوجية،من احترام ،و استشارة في كل ما يهم الأسرة،فهو على العكس من ذلك يحسسها و كأنها خادمة ترضى بما يقدم لها من أوامر و كفى دون مناقشة،و هنا يكمن المساس بالشخصية ،بعد مسحها كمسح الغبار عن الخشب ،زيادة على ذلك اتهامه لها و مسؤوليتها عن هروب "نفيسة" من المنزل و ذلك بالعقاب و الضرب المبرح.

أمّا الشخصية المقهورة الثانية فهي"نفيسة"،تلك البنت البالغة من العمر 18سنة ،و الطلبة الجامعية بالعاصمة جاءت لقضاء العطلة الصيفية ،فحكمت عليها محكمة الزّور بالتوقف عن الدراسة ،و من الأسباب العامل المادي،و المتمثل في جشع أبيها و طمعه في الأراضي و الأموال و الجاه ،و ذلك بتقربه لأصحاب السلطة و النفوذ.[1]

لقد حرمت "نفيسة" من الخروج ،فأطلقت على القرية ما يسمى بالسجن ،ثم حرمها من إكمال الدراسة،و ذلك بغرض إرغامها على الزواج من "مالك" شيخ البلدية و ذلك للحفاظ على أراضيه و أملاكه ،ذلك ما أجبرها على اختيار طريق الهروب من المنزل لأجل العودة إلى العاصمة .

أمّا "رابح" فكان القهر يمارس عليه من خلال طمس قوته و قدراته البدنية و العقلية و حصرها في مهنة الرعي ،و استغلال فقره و حاجته إلى المال ليعيل نفسه و أمه البكماء على ما يضمن لهما قوت يومهما فحسب،بالإضافة إلى ذلك فقد تعرض "رابح" إلى إهانة و قهر

[1]- البنية الذهنية ..ص15 من المقدمة .

كبيرين من قبل "نفيسة" ،ذلك أنها نعتته بأبدأ الصفات و النعوت،فنعتته بالقذر و هو ما لم يقوى على استيعابه و أصبح جرحا غائرا بعد أن ضربته في كبريائه.

ـ البنية الدلالية و الإطار الدلالي العام:

يرى **"غولدمان"** أننا لا نستطيع فهم البنية الدلالية بشكل معمق إلا إدا ربطناها ببنى أوسع، كالبنى الذهنية و رؤى الطبقات الاجتماعية للعالم، و البنى الاقتصادية و الاجتماعية التي تفرزها حقبة تاريخية معينة.

يستطيع الوعي الجماعي لطبقة معينة أن يتعارض مع مضمون عمل أدبي محدد، القصة أو الرواية أو الخرافة؛ فالمهم في هده الحالة هو أن تناظر بنية العالم الخيالي الذي ترسمه هده القصة أو الرواية الخرافية مع البنية الدهنية لهده المجموعة البشرية،فلا يوجد أي تناقض بين علاقة الإيداع بالواقع التاريخي و الاجتماعي، و بين الخيال مهما كان خصبا.

و عندما نكشف العلاقة البنيوية القائمة بين العمل الأدبي مثلا كمسرحيات"راسين"، و رؤية العالم المأساوية بالنسبة له، عندئد يجب أن ندرس علاقة هده الرؤية بالطبقات الاجتماعية، التي ترجمها لطبقة أشرف الرداء في القرن السابع عشر،دلك أن العمل الأدبي الفكري و الفني ما هو إلا شكل من أشكال الحياة الاجتماعية، و لا نستطيع فهمه و التعمق فيه، إلا إدا وضعناه في الإطار العام الشامل الاجتماعي و التاريخي.

و من هدا المنظور، يستطيع البحث الأدبي على طريقة "غولدمان" السوسيولوجية أن يتخلص من مقولة التأثر و التأثير، و التي انتشرت في النقد الأدبي الفرنسي على يد ممثلي الأدب المقارن القدماء، أمثال "بول هازار"،و "فرنان باله نسبرجيه"، و "ماريوس فرنسوا غويار" و غيرهم، دلك أن التأثير و التأثر لا يؤديان إلى النتيجة الإيجابية ،مع العلم أن تحديدهما مهم أحيانا، بشرط ألا تقتصر الدراسة على هدا التحديد،إنما يجب على الناقد أن الواعي أن يتساءل عن سببه الثقافي و الاجتماعي و الإيديولوجي،هدا إن وجد التأثر و

التـأثير.و لا شـك أن فلسـفة "أرسـطو" مـثلا قـد أتـرث فـي مـذهب "تومـا الإكـويني و التيـار التومائي" بشكل عام.

بعد إجراء هده الملاحظة، يجب ألا نتوقف عند وصفها،بل يجب دراسة المسببات التي أدت إلى هدا الاختيار دون داك.

المبحث الثالث :

الشخصيات المقهورة على مستوى الوظائف:

مـن خـلال الدراسـة التـي قمنـا بهـا علـى روايـة "ريـح الجنـوب" ،ارتأينـا أن نسـتخرج الشخصيات المقهورة و مـا هـي سمات القهر البادية عليها من خـلال والوظـائف و العوامل التي حددها "غريماس" و"هامون" ،كمـا قدم " ابن هدوقة" صورة المرأة أكثر نضجا من خلال تلك الأبعاد الجمالية التي وصفها الروائي لصالح المرأة ،و ذلك برصد توجهها ضمن

علاقات اجتماعية تحكمها قوانين جائرة و قاهرة .لقد صور لنا الروائي شخصية"نفيسة" كبطلة في الرواية ،وهي الفتات الشابة البالغة من العمر 18 سنة ،المتفتحة على الافاق الحياتية و متفتحة الفكر و الثقافة بإعتبارها طالبة جامعية بالعاصمة كما نجد أم" نفيسة" السيدة المطيعة لأوامر زوجها الخاضعة له دوما و الملبية لطلباته من دون تململ أو إحساس بالإهمال،و قد نقل الروائي الكثير من العبارات التي تعكس هذا الانطباع مثل :" القدر و المكتوب " قول أو نفسه و لما تهرب "نفسية" في البيت يعاقب الزوجة الأم بالضرب لأنها في نظره لم تقم بواجبها على أحسن وجه و لم تراقب ابنتها أحسن مراقبة.

فكان دورها في الحياة تنفيذ الأوامر من دون أية كلمة مع تغييب على شخصيتها حيث تقول:"... الأم أبوك يعتزم تزويجك..." [1]

يعتبر والد "نفيسة" معتدي و معارض لرغبتها في الحرية، و تبيان شخصيتها و التصريح بطموحاتها ،و ما تصبو إليه من أجل بعض الأملاك و الأموال، ومن جهة أخرى القضاء على شخصية الأم، من خلال الطاعة العمياء له كأنها خادمة و ليست زوجة و شريكة في الحياة.

و هذه هي سمات الشخصية القاهرة و الشخصية المعتدية و "نفيسة" هي الشخصية الأكثر قهرا **و** حرمانا في هذه الرواية.

كما نلمح عوامل القهر البادية على الشخصيات من خلال الحالة النفسية التي تعيشها البطلة "نفيسة" منذ دخولها لذلك المنزل كانت تعتبره كسجن لانعدام الحرية و انغلاق التفكير لوالديها و للأعراف و العادات الي كانت تعتبرها "نفيسة" من مخلفات الماضي باعتبارها تعيش عامها الدراسي في الجزائر العاصمة.

فالتذمر و القلق كانا باديان على وجهها و كل هذا بسبب الهدوء و السكينة التي كانت تخيم على القرية حيث تقول: "أكاد أختنق من هذا السكون و هذا الصمت.."[1]،و يعد سبب هذا

[1]- رواية ريح الجنوب ص 87 .

التذمر إلى اعتيادها على تلك الأجواء التي تتسم بها المدينة من حركية و ضجيج ،بالإضافة إلى أنها منزعجة من عدم خروجها و إرغامها على البقاء في البيت ،و هذا ما جعلها لا تقوم بمساعدة أمها في الأعمال المنزلية و تبقى حبيسة الغرفة ،حيث تقول "نفيسة" :"..كل شئ هنا يحرم الخروج حتى الشمس...لكن أي فائدة من الخروج الى الخراب ..".

لم تتمكن "نفيسة" من الانسجام مع هذا الواقع، و هذا ما جعلها تحس بنوع من القهر النفسي و المكاني.

أمّا أم" نفيسة" فهي كانت امرأة مغلوب على أمرها همها الوحيد تنفيد الأوامر و فقط ،و هذا السبب يرجع إلى عامل الخوف من زوجها و الابتعاد عن التمرد، لكن "نفيسة" و على النقيض من ذلك وجدت في التمرد الملاذ الوحيد للفرار بجلدها من ذلك الاضطهاد و القهر الممارس عليها خاصة في قضية تزويجها بشيخ البلدية و البحث عن كل الطرق للهروب بجلدها و تجنب ما هو كارثي في نظرها بالمقابل كانت أم "نفيسة" تحاول تهدئة الأوضاع من الجهتين ،لكن درجة و شدة القهر الممارس من قبل الزوج كانت أقوى من ذلك ،بالإضافة إلى عناد "نفيسة" و تمردها جعلها تعجز عن تحقيق ذلك ،و إخماد فتيل المشاكل و المصائب و أسمتها ب "ريح القبلي" و شبهتها مثل كارثة الاستعمار الفرنسي.

نجد هنا أن وظائف كل شخصية قاهرة أو مقهورة تؤثر فيها عوامل و ظروف تجعلها تنحو منحاها المناسب و الحقيقي في إنجاح دور و مهمة كل شخصية .

المبحث الرابع :

الشخصيات المقهورة على المستوى النفسي والاجتماعي:

لقد حضر الكاتب شخصية نفيسة تحضيرا مدروسا ومتقنا لكي تمثل دورها أحسن تمثيل

[1]- ريح الجنوب ص 8.

فهل أتقنت نفيسة دورها بالفعل؟ أو بالأحرى هل وفقت في آداء هذا الدور؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفقرات التالية في تصورنا أنه كان بإمكان الكاتب بأن يسير بشخصية نفيسة في خط غير هذا الخط الموجود في البوابة.

كان بإمكانه أن يجعل "نفيسة" تعود من العاصمة في العطلة الصيفية إلى بلدتها الأصلية وهي فرحة ومبتهجة لأنها كانت في مكان لا يعرف أناسه إلا القليل منهم وكذلك الهروب من جو المدينة المزدحم إلى هواء وهدوء ولطف الأسرة في الريف أو القرية كما كان بإمكانه أن يسير في هذا الخط حتّى يصل إلى فكرة تزويج "نفيسة" بـ"مالك" الذي لم تفكر فيه.

أو جعل "نفيسة" رغم حريتها أنها تفكر بتفكير واقعي منسجم مع حياتها وأعرافها وطقوسها وتقاليد الأسرة الريفية خاصة.

صحيح أن "نفيسة" شخصية تنتمي إلى الريف وأنها تعلمت في المدينة والريف ظل محافظا على ما هو عليه في عادات وأعراف وهذا ما كان متناقضا مع فكر أو عقلية نفيسة ومن هنا يأتي الصراع في الرواية أو تقول الثورة أو العقدة التي تشتبك فيها أحداث الرواية.

لهذا لا نشعر بالرتابة والتطور في شخصية "نفيسة" رغم أنها هي الشخصية الرئيسية في هذه الرواية التي كان يفرض فيه الكثير من التطور ويرجع هذا السبب إلى أن الكاتب قصد عمد تحميلها كثيرا في أفكاره "الثورية " فيما يتعلق بتطوير المجتمع.

وتقول "نفيسة" في إحدى الصفحات الأولى من الرواية: " لا يعرفون هنا إلا الصلاة والموت أما الحياة فهي وساوس شيطان"[1]. كما نلتقي بشخصية "نفيسة"، وقد ضاقت نفسها من جو القرية الخانق وكأنها في سجن ويرجع السبب لاختلاف القرية عن المدينة في الطابع الجغرافي والتفكيري فعندما تسأل العجوز رحمة "نفيسة"

[1]- مصطفى فاس،دراسة في الرواية الجزائرية ،ص 15

عما يضايقها وهي في وسط بلدها ووسط أسرتها تجيب: " لاشيء يا خالة.....إنني أغار من عبد القادر"[1] لأنها لا تملك الحرية بسبب كونها امرأة ومتواجدة في القرية عكس أخوها (الطفل) ثم تضيق بع ذلك بقليل: " إن الدنيا تبدلت يا خالة تبدلت، إن جهل الرجال هو الذي أطلق ألسنتهم بالسوء فينا وأن جهل المرأة هو الذي جعلها تحيا بعد عبودية الآباء والأزواج" [2] هي إذن مؤهلة لعمل أفكار الكاتب الإصلاحية من بداية الرواية وكأنما أراد الكاتب أن يمتحنها عندما جعلها موضوعا لتطبيق هذه الأفكار بالذات فهذا أبوها يقرر منعها من العودة إلى الجزائر لمواصلة الدراسة يقرر تزويجها، ويختار هو من تتزوج به.

ومازال الكاتب يفسر الأمور التي تعيق "نفيسة" في حياتها وملبسها بالظروف الخارجية التي تتحكم فيها.

وبعد قرار أبيها وعزمه على تزويجها يطرح سؤال في هذا الصدد: " ماذا عساها أن تفعل وحدها لمواجهة كلّ ذلك؟ هل تثور؟ ولكن أية ثورة و في أي اتجاه؟ إنها لا تعرف أحدا في القرية وهب أنها عرفت، ماذا يجدي ذلك؟ فلا فرع هناك المنظمة النسائية ولا لشبيبة الحزب و لا لغيركما"[3]. على الرغم من هذه الثورة إلا أن "نفيسة "لا نستطيع مواجهة أبيها مباشرة ولكن تبقى أمها وسطا بينها وبين أبيها، تقول لها البنت مثلا: "الذل الذي عشت فيه لن أعيشه، كوني أما لغيري إن شئت"[4]، ويكون قد قرر:" أنا قررت أن تتزوج وقراري قضاء[5].أراد الكاتب أن تحمل "نفيسة" شخصية فيما يخص رأيه حول المرأة ولقد أخذها الكاتب وزودها بثقافة جيدة تؤيدها لآداء هذا الدور بكل جدارة وتقدير خاصة فيما يخص التفكير والنمط الفكري.

" مع أقصى محنة في الحياة تبقى للمرء حرية الاختيار"،خاصة حينما تفكير في وضعيتها ووضعية المرأة في قريتها، وحياة المرأة العربية عامة " التي حظها نصف حظ الرجل في

[1]- المصدر نفسه ،ص 15 .

[3]- المصدر نفسه ص 15 .
[4]- المصدر نفسه ص 88.
[5]- المصدر نفسه ص 16.

الإرث، وفي الحياة لاحظ لها معه مطلقا"[1] .والكاتب هنا يستعرض شخصية "نفسية"،ه وكيف تفكر في وضعية المرأة العربية بصفة عامة وما تتحمله من أعباء، وما تتعرض له من سيطرة من قبل الرجل، فإن الكاتب هنا يتعرض للمرأة وما تعانيه من إهانة وسيطرة من طرف الرجال، فكيفية معالجة موضوع الزواج، وكيفية الخروج من هذا الوضع، وكيف تحتمل هذا المبدأ الخاطئ بالنسبة إليها، وما هو الحلّ المناسب لمحو أو طمس هذه الأفكار البدائية.

وهذه السيطرة تكمن في سلطة الأب القوية والمطلقة، أو من الرجل بصفة عامة، عم، خال أو أخ.

لم يفت ابن هدوقة " ذلك، فهو يشير في إحدى فقرات الرواية حتى إلى سيطرة الإبن على أمه، فعندما تسأل نفيسة " رابح "، عما إذا كانت أمه لا تريدها أن تبقى في بيتها يجيب رابح بقوله: " لا إلا تستطيع أن ترفض فأنا الذي أتصرف هنا، ابتسمت " نفيسة " لضحك " رابح " واعتداده بنفسه، ولو أنه لم يفتها أن تلاحظ سيطرة الرجل على المرأة في كل موقف مهما كانت الرابطة التي تربط بينهما" [2].

قد يؤخذ على"ابن هدوقة" أنه جعل ثورة "نفيسة" ثورة فردية، ولكننا نعتقد أنه قصد بذلك قبل كل شيء الإخلاص للواقع ،فلو كانت "نفيسة" تريد أن تثور في مدينة كبيرة ،أو حتى متوسطة حيث يتوفر العنصر النسوي، في شكل الطالبات أو الموظفات، أو العاملات ، و حيث تتوفر التنظيمات التي تسمح بمشاركة المرأة فا نها كانت بدون شك ستجد بجانبها نساء أخريات يشاطرنها أفكارها وشعرت بشعورها اما وقد وجدت في هذه القرية الصغيرة النائية المنعزلة فان عليها ان تتحمل قدرها ومسؤوليتها وخدها .

[1]- المصدر نفسه،ص 40.
[2]- المصدر نفسه، ص 17.

وبقدر ما شعر بانعزال قرية ننفسه لهذه كذلك ان نفسه بدورها – عندما نتأمل شخصيتها بشكل جيدة شخصية منعزلة تماما عن بقية شكل القرية بل تنفي بقوة أنها لا تنتمي أصلا الى هذه القرية ومجتمعها وانما في امراة دخيلة لا تختلف عن اية امراة سائحة على هذا المجتمع.

فلقد لا حضنا من البداية تأفف نفسه من القرية وضيقها في وجودها وعدم إحساسها بأية عاطفة نحوها ولقد زاد الكاتب من حيرتها وتساؤلاتنا عندما ترك مرحلة من مراحل عمر نفسه غامضة ،وهي مرحلة طفولتها فهو يذكر أنها كانت تدرس في العاصمة وكانت تسكن عند خالتها ثم عادت في العطلة الصيفية ،وهذا يسمح لنا ولخيالنا بميلاد البدائية كانت موجودة بدون شك ثم انتقلت إلى العاصمة .

وهي تعود في كل عطلة صيفية إلى قريتها

إذا كان هذا هو الاحتمال الغالب والأكثر قيودا بالنسبة إلى مسار حياة" نفسية "،فإننا سنجد كثيرا من الخلل عندما نعود إلى تتبع حركتها في الرواية .

ولعل الكاتب يكون قد أنذرنا عندما جعل العجوز رحمة تلاحظ "لأول مرة أنها أما لا تعرف مثيلا لها في القرية ".

لقد كانت ملاحظة العجوز هنا صحيحة ،إذ من الطبيعي أن تخرج طفلة من قرية ما لكي تسافر وتتعلم لتعود بعد ذلك إلى قريتها ،وهي تحمل في ذهنها كثيرا من المعارف والأفكار الجديدة .

ولكن الأمر غير الطبيعي هو ذلك المتمثل في بعض الجزئيات التي ستؤدي بنا إما إلى التأكد بأن "نفسية "لا تنتمي أصلا إلى هذه القرية و أن الكاتب لا يعرف القرية جيدا، و إلا ما معنى أن تلجأ "نفسية" إلى خلق درس في الجغرافيا مع أخيها الصغير فقط لكي تصل إلى معرفة موعد القطار المتجه إلى الجزائر ،مع أنها أكبر منه سنا ، وأنها – كما هو مفترض – من القرية نفسها مع العلم أن الناس في القرى يعرفون بالتفصيل كل شيء حتى الأشجار كبيرها وصغيرها ،فما بالك بموعد القطار الوحيد الذي يمر بالقرية مرة واحدة في اليوم ،ثم

أن الكاتب يتحدث عنها وقد ضاع منها – أثناء هروبها – الطريق المؤدي إلى محطة القطار، فهل هي في قرية ،أم في إحدى المدن الكبرى ؟.

ثم انه يتحدث عن نفسه يوم وفاة العجوز رحمة في علاقتها بنساء القرية وعلاقتهن بها، فيشير إلى القطيعة الكاملة بينها وبينهن، فلاهي تعرف واحدة منهن عدا أمها ولا هن يعرفنها ،فكان الكاتب يتحدث عن لقاء مجموعة من النسوة في أحد حمامات العاصمة أو ما شبه ذلك ...ثم ما هذا التصور المتحضر من طرف "نفيسة"، التي تريد دفع بعض المال ثمن إقامتها في بيت أم الراعي ،الذي أنقذها من الموت أثر لدغة الثعبان وإعادتها إلى البيت ،وبعد ذلك دخول إحدى عجائز القرية إلى بيت الراعي دون أن تعرف "نفيسة" .

وكما أن الملاحظات التي سبق ذكرها تجعل شخصية "نفيسة" غير مقنعة بالشكل الكافي أو هي تجعلها – على الأقل – شخصية غريبة عن القرية، مما يقلل من أهميتها ودورها لعمل رسالة التطور وتحرير المرأة،فان عملية هروبها أيضا تتسم ببعض التكلف بالإضافة إلى ما سبق ذكره، من تضيعها للطريق المؤدي إلى محطة القطار ،و إلى قصد اختلاف المصادفة في جعل الراعي بالذات هو الذي يعثر عليها في العراء تصارع الموت، فينقذها مما يسمح للكاتب بتطبيق المفهوم الأخلاقي المعروف " العفو عند المقدرة "[1]

بالإضافة إلى هذا وغيره، فان الكاتب يختلق مجموعة من الصعوبات والأهوال التي تقف في وجه "نفيسة"، فهذا الثعبان يفر من أمامها، وهذا ثعبان آخر ينهش رجلها كل ذلك لكي يأتي الإنقاذ من قبل "رابح "الراعي، إلا أن هناك أخطاء،أحيانا تتمثل في عدم وجود الدقة الكافية .

فبعد أن ذكر الكاتب – مثلا- بأن "نفيسة" لدغت وصار ساقها أسود، وأسود جسمها ووجهها بعد أن انتشر السم في جسمها ،يعلمنا بوصول الراعي الذي يلؤم ساقها مكان اللذغ ليمتص دمها المسموم،لقد صار كل جسمها مسموما فهل سيمتص كل دمها ؟

[1]- مرجع سابق،ص17.

حاول الكاتب تحديد عملية هروب نفيسة بكب دقة وجعل هذا الهروب يتم يوم الجمعة و بالضبط وقت السوق الأسبوعية عندما يكون الرجال في السوق و النساء في المقبرة ،وبهذا فقد خرجت نفيسة من دار ابيها وكي تلبس ألبسة رجالية دون أن يلاحظها أحد إلى أن وجدها الراعي بعيدا عن القرية ساقطة على الأرض وأعادها إلى بيته، كل هذا أمر مقبول ،مهما قيل في الطريقة التي تمر بها إلا أن الأمر غير المقبول حقا، أن تعود أم "نفيسة" بعد زيارة المقبرة دون أن تجدها ،فتظل داخل بيتها تعيش قلقها دون أن تقوم بأية حركة للبحث عنها ،ألا يجب أن تسأل عنها عند الجيران؟ عند سكان القرية الأخرين؟ الخ .

إن الكاتب يشعرنا أكثر من مرة أنه لا يعرف القرية جيدا ومن الأمثلة على ذلك أنه جعل "مالكا" الذي يحضر لحظات وفاة العجوز" رحمة" ليلا،ينتظر حتى يفتح الحاج "قويدر" مقهى القرية صباحا لكي يعلمه بهذه الوفاة،ولكي ينشر الخبر من هناك،من المقهى فما هذا ؟هل سكان القرية عندما يتصرفون بهذا الشكل؟ إن القروي لا يتورع عن دق باب منزل جاره في أي وقت كان من النهار أو الليل، بسبب أمور أبسط كثيرا من الموت،فما بالك بأمر الموت في القرية؟ .

أما الشخصية الثانية في هذه الرواية التي تقف في مواجهة ابن القاضي فهي شخصية مالك رئيس البلدية .

و الذي نعتقده ،أن الكاتب عرف شكل بشكل موفق تماما – كيف يربط تلك العلاقات بين ابن القاضي ومالك ،ويجعلها تقوم في ظاهرها على التفاهم و الود والانسجام بينما هي في حقيقة الأمر تقوم على الحذر و الاحتياط بين الطرفيين فعداوتهما طبعا لم تكن .... صريحة بينهما ولا معروفة لدى الناس" [1].

فابن القاضي فلاح من قبل الاستقلال متعاون مع الاستعمار، وهو حاليا فلاح كبير يسعى للحفاظ على أملاكه،ويبدي كثيرا من الكرم والتسامح والتعامل الحسن ويقترب من مالك ممثل

[1]- المصدر نفسه،ص19.

السلطة بكب الوسائل "ويفتعل المناسبات للتعظيم من شأنه وذكر كفاحه وإخلاصه للثورة و الوطن .

أما "مالك"، فهو رجل وطني مخلص مجاهد سابقا،وشاب مستقيم إلى أقصى حدود الاستقامة، وهو الآن رئيس لبلدية صغيرة مغمورة ،تمثل شغله الشاغل فهو يفكر في النهوض بها ليلا ونهارا .

وبالاختصار فان العداوة بين مالك وابن القاضي لم تكن هجوما بل كانت تربصا وانتظارا "

مع الفارق ان عداوة مالك لبن القاضي كانت مذهبية فهو يرى فيه ذلك الفلاح الكبير الذي يملك من الأرض أكثر من حقه نهو الذي يجب في إطار المصطلح الزراعي المقبل ،وفي إطار اتجاه الجزائر نحو الإشتراكية أن يتخلى على بعض أراضيه للفلاحين الفقراء المستحقين ،فمالك يمثل هنا سياسة السلطة الرسمية في الاتجاه نحو الاشتراكية ،بينما كانت عداوة ابن القاضي لمالك شخصية فقد وشي به وبأصحابه من المجاهدين يوم قتلت ابنته"زليخة" في القطار الملغم، وهو الآن يفكر في مستقبل ملاكه ،ويعمل على ضمان بقائها .كل من "مالك" و "ابن القاضي"، إذن يعرف الآخر معرفة جيدة مما يجعله يتصرف إزاءه بذكاء وحيطة وبحذر شديد ، ولقد وفق الكاتب كما ذكرنا سابقا في تصوير العلاقة بين هذين الرجلين.

يقدم الكاتب "مالك" في صورة ذلك الرجل الهادئ ،المخلص الجاد الإنساني، المتكامل في مواقعه الذي يشعر بثقل المسؤولية إلى أبعد الحدود، والوفي بعد ذلك لغيره، فمن بداية الرواية تطرح قضية زواجه من "نفيسة" الفتاة الجميلة المتعلمة، نطرح على لسان ابن القاضي،ويشيع موضوع هذا الزواج على كل الألسنة في القرية ،إلا أن "مالك" فعل الكثير من وقوفه منبهرا من شعوره،عندما دعاه ابن القاضي إلى بيته ورؤيته لـ"نفيسة"، بأنها "زليخة "،"التي وقف منذ ساعات أمام قبرها أثناء التدشين تقف الآن أمامه حية "على المركز بإعجابه بـ"نفيسة" التي تشبه أختها التي كانت ذات يوم خطيبته وعلى الرغم من المستقبل الجميل الذي كان من الممكن ان يضمه لو عجل في الزواج من نفيسة فان "مالك"

ولانشغاله باستمرار بهموم البلدية ومشاكلها ومشاكل الوطن بصفة عامة ،إلى درجة شعورنا بأن تفكيره كان أوسع من حجم هذه البلدية المرمية برغم ذلك فان مالك ينسى تماما موضوع زواجه وينسى التفكير في كل ما يتعلق بشؤونه الشخصية .[1]

المبحث الخامس :

قهر المكان و قهر الزمان .

قهر المكان:

يعرف "يوري لوتمان" المكان بقوله :" المكان مجموعة من الأشياء المتجانسة من المظاهر أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة ،تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة المعادية (الاتصال , المسافة)" [2].

و يجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هامة، وهي أننا إدا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المعطاة على أنها مكانا يجب أن يوجد هذه الأشياء من جميع خصائصها، ما عدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني التي تدخل في الحسبان[2] .

يكمن قهر المكان في روايته "ريح الجنوب"، من خلال النظرة التي تلوح في عين "نفسية"، التي كانت تقضي عطلتها في قريتها المتذبذبة بين القساوة و اللين ،و لو انها ثابتة و قاسية في أكثر المقاطع الوصفية وما تخلفه من أمراض، بالإضافة إلى الضجر و الحزن الذي تطبع به النفوس و القلوب، ومع ذلك فهي تبدو حزينة لحزنهم،غاضبة لغضبهم،ثائرة لثورتهم .

فبالنسبة لـ"نفسية" فإن القهر الذي أحسته في قريتها، هو قهر مكاني، ويتجلى ذلك في البيت الذي تسكنه عائلتها ،و غرفتها الصغيرة ذات السقف الخشبي و الصمت والهدوء المخيم.

على القرية مما جعلها تضجر منها و يحن قلبها إلى العاصمة حيث تقول"نفسية" في هذا المقطع " حتى النوم لا أستطيع أن أنام ، ليتني لو نمت حتى تنقضي هذه الشهور ..... كل

[1]- المصدر نفسه ،ص 20.
[2]- سيزار قاسم ،مشكلة المكان و الزمان،منشورات عيون المقالات ،الدار البيضاء المغرب،ط2،ص 69.

شيء هنا يحرم الخروج، حتى الشمس .... أكاد أجن من هذا الصمت ..... جدران[1] أربعة وسقف في خشبة ،صمتَ أكاد اختنق من هذا السكوت". من خلال هذا المقطع نحس أن "نفسية" لا يروقها هذا المكان بتاتا ،فهي غير مرتاحة لا في المنزل ولا حتى بما يحيط بها .

و المنع من الخروج هو القهر الأكبر الذي زاد من إحساسها بالغم و الهم ،وتدهور حالتها النفسية يوما بعد يوم،لأن المرأة في الريف لا تخرج من البيت، وإنما تبقى فيه، وتمارس أشغالها المنزلية كما نرى بعض التذمر والقلق والزجر على نفسها من هذا المكان الذي تعتبره سجنا مقيدا لحريتها، والذي سبب لها ضغطا نفسيا وإرهاقا عصبيا، حيث قالت "نفيسة" في هذا النحو:" أكاد أنفجر، أكاد أنفجر في هذه الصحراء".[1]

نشعر من خلال قول "نفيسة "في هذا المقطع بأنها في قمة القلق والملل واليأس في هذا المكان وشبهته بالصحراء من شدة الحرارة ،ولخلوه من الناس لأن الرجال في المقاهي أو في السوق ،أما النساء يبقين في المنازل.

قهر الزمان :

إن مفهوم الزمان هو الوقت، وعند تقسيم الزمن الفيزيائي إلى ثلاثة أبعاد نجد الماضي ، الحاضر و المستقبل، فمجال الزمن إذا متعدد ولكن لكل مجال دلالته الخاصة به، ويتعرض لها بأدواته التي يصوغها وحقله الفكري و النظري، ومن خلال تمييزنا بين المقطع الرديء و المقطع الزمني نستنتج من خلال التحليل النموذجي من بحث عن الزمن يعطينا مفاهيم خاصة وهي الاستباق ،ويعني استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يحكي، وفي تحليله لصفات ابرز، كونها يمكن أن توضع في الماضي أو المستقبل، بعيدة بهذا الشكل أو ذلك "الحاضر"، وهكذا فالمسافة الزمنية التي تفصل بين فقرة في القضية يتوقف فيها الحكي، وفترة في القصة يبدأ فيها الحكي المفارق هي التي يسميها بالسعة ، portée يمكن للمفارقة أن تعطي مدة (Durée) طويلة أو قصيرة من القصة وهي المدى . Amplitude

[1]- عبد الحميد بن هدوقةمرجع سابق ،ص 266.

فنجد الاسترجاع مثلا في رواية "ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة" موجودة في الافتتاحية غير أنها امتدت على مساحة فصلين كاملين ،وعلى مساحة زمنية من الصفحة (70-82)، وكان المكان خلال هذه المساحة حاضرا بكثافة ،وكذلك الماضي مستحضرا على طريق اللواحق الخارجية الثانية، وقد تأرجح الزمن من الحاضر و الماضي ولكن الزمن الماضي كان أكثر كثافة – سواء من حيث الاتساع أو الطول عاد بشخصية "مالك" سنة 1957، سواء من خلال هذا الماضي بالتعريف ببعض جوانب الشخصية . لقد ورد في الرواية هذا المقطع :"وكما كان ابنه الذي قتل أثناء غارة جوية هو الحل...هذه الجملة قالها ذات يوم من أيام الثورة ...قال شيخ البلدية " ارايت لقد قتلت فرنسا هذا الأسبوع معظم شباب القرية ..."، فأجاب عابد بن القاضي : " الأبناء هم الحل ..."""

و القهر الزماني الحاضر هو الزمن الذي جرت فيه أحداث الرواية بشخصياتها وأحداثها وظروفها وكل ماطرا عليها من تغيرات تدريجية، خاصة ما حدث للبطلة "نفيسة " .[1]

[1]- المصدر نفسه ،ص 48-59

المبحث الأول :

المظهر الاقتصادي والتاريخي والاجتماعي في ريح الجنوب:

لقد تجاوز "غولدمان" نظرية التشيء لدى "لوكاتش" من خلال البعد الاقتصادي ليصل إلى الثقافة الداخلية المتوفرة لدى الطبقات الثورية فيعود إلى مسألة " الكتلة التاريخية " التي طرحها "غرامشي"، ويفهمها بأنها تدل على الشمولية الاجتماعية الاقتصادية الثقافية في المجتمع ، وتتضمن " الثقافة الداخلية ". وبتبنيه وجهة نظر "غرامشي" في " الكتلة التاريخية " التي تشكل القاعدة والبنية الفوقية وتوفق بين السيادة و....، فإنه يتجاوز التيار الاقتصادي المتصلب في الماركسية. إذ يرى أن الباحث الواعي يجب أن لا يحصر اهتمامه بالمطالب الاقتصادية ذلك لأن وعي المجموعة (البنية الفوقية) ليس مجرد انعكاس لوضعها الاقتصادي و إنما هو عامل فعال ففي مقالته عن "التشييء" التي نشرها في " الأزمة الحديثة " يرى أن مصالح العامل لا تنشأ، أوانها في جميع الحالات تنشأ أقل بكثير من مصالح الطبقات الأخرى. لأنّه بدون رأي المال، ويفكر بالتالي في الواقع الإنساني.

ويتساءل عندئذ "غولدمان" إذا كان هناك إمكانية تلاءم بين الثقافة النقدية والثقافة المهيمنة، ويرى أن الهيمنة البورجوازية الرأسمالية تتبسم باستيلائها على السوق وقيمة التبادل من جهة وعلى الكمية من جهة أخرى، وأن تحويل القيمة المستعملة والقيمة الكمية إلى قيمة تبادل يشكل جوهر التشييء، فإن ظاهرة المجتمع الرأسمالي الأساسية هي تحويل العلاقات الإنسانية الكمية إلى صفة كمية للأشياء الجامدة.[1]

وينعكس هذا على نفسية الإنسان في هذا المجتمع، فيعيش ثنائية رهيبة يعبر عنها "غولدمان" بصورتي الدكتور " جيكل " (الجلاد النازي) " ومبشرها يد عاشق الموسيقى الساحرة.

ويرى "غولدمان" أن البرو ليتاريا هي وحدها الطبقة التي تستطيع أن تلغي الاضطهاد وتحقق المجتمع الطبقي.

[1]- لوسيان قولدمان ،كتاب بيرزيما، مأخود من كتاب أبحاث جدلية،ص78.

ولكنه يلاحظ فيما بعد أن الطبقة العاملة الجديدة هي المخولة لكسر الطوق (وبالتالي لإزالة التشييء)، وبالنسبة له فإن مطالبها الاقتصادية غير منفصلة عن مطالبها الثقافية.

وبالتالي فإن مقولة التشييء هي مقولة مناسبة لفهم وشرح الأعمال الأدبية التي ظهرت في مجتمع التشييء، لاسيما الرواية منها، وسنعود في فصل الرواية إلى انعكاسات مقولة التشييء على الرأسمالية اللبيرالية فهي الرأس المالية الاحتكارية ثم حكم المؤسسات وسنرى لتقاطع الحاصل بين المتوليين التجاري والروائي.[1]

من خلال كل هذه الدراسة التي قام بها قولدمان نرى بأنه ركز على النظام الطبقي وانعكاس النظام الاشتراكي والرأس مالي على المجتمعات الأوروبية خاصة وأنه يرى بأن لكل نظام أو نظرية إيجابياتها وسلبياتها وهذا ما سنورده من خلال إخراج بعض المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من رواية ريح الجنوب لابن هدوقة.

المظهر الاجتماعي:

لقد ورد في بداية الرواية ، الظهور البارز لتذمر " نفسية " من الوضع الاجتماعي ، المأساوي الذي تعيش فيه القرية، وعدم قدرتها على الانسجام مع هذا الواقع، مما سبب لها جوّا من الحلوة والصمت والحزن : "أظن أن القنابل الذرية التي يتحدثون عنها لا تستطيع أن تجعل مكانا أشد خرابا من هذه القرية" إذ تبدو "نفيسة" من خلال هذا المقطع السردي في حالة ضياع كلي يتجلى عبر المسار صوري تجسده مجموعة من الصور المتجانسة التي تخيل في مجملها على الواقع المأساوي الاجتماعي للقرية، الذي يحيل إلى عالم الصمت والخراب. هذه الظروف المعيشية الصعبة وافتقارهم إلى عناصر الحياة الضرورية ، يقف كفاعل أو كحاجز مضاد ضد تحقيق رغبة نفسية في الاستراحة في وسط أهلها.

فتتحول القرية والمجتمع القروي في نظرها من مكان للعطلة إلى مكان السجن والانغلاق، مما يجعل مسألة تحقيق برنامجها السردي مخطط لقضاء العطلة الصيفية أم يكاد يكون مستحيل، وتزداد حالتها تأزما عندما تجد نفسها في فضاء عائلي مغلق، العادات والتقاليد والأعراف التي

[1]- لوسيان غولدمان ،مرجع سابق،ص22.

يمشي عليها كل سكان القرية جعلها تحس بالاشمئزاز والقهر من هذا المجتمع وأسلوبه في الحياة الخاطئ في نظرها كما نجد الفقر والحرمان عامل من عوامل القهر الاجتماعي الذي تحسب به نفسية وكل سكان القرية. وذلك حسب النظام الإقطاعي لابن القاضي حيث تقول نفسية في هذا الصدد الحجرة ضيقة طولها عشرة أمتار وعرضها كذلك بها كورة خارجية مطلة على جزء من البستان، ارتفاعها سبعون سنتيم وعرضها خمسون سنتيم، وفي هذه المساحة السرير القديم الذي تنام عليه نفيسة، وخزانة أشد قدما منه.[1]

من خلال هذا القول لنفيسة نلمح شدة التأثر السلبي بالوضع الاجتماعي المزري الذي يعيش فيه أهل نفيسة وحي سكان القرية.

وهي تتذمر في وضعها هذا الذي تكاد تنعدم فيه كل ضروريات الحياة ولكنها رغم ذلك بقيت في هذه الحجرة تنام فيها وتقضي فيها حياتها المظلمة، وما يدفعها لتأقلم مع هذا الوضع، وجود الكوة الخارجية التي تفسح لها مجالا لتشاهد منظرا جميلا ونهائية القصوب بجبال جرجرا، إضافة إلى أنها لا تستطيع أن تقتسم الغرفة مع أخيها وأمها حيث تقول: " أفضل هذه الحجرة الضيقة على الذوبان النهائي في الأسرة " [(2)]

ومن هنا تتخذ نفيسة غرفتها وقريتها وهذا المجتمع كمدلول يتسم بالبشاعة والباعث على الانقباض، ليعالق مع المنظر الخلقي الجميل الذي كان يبعثها على الانشراح واستمرار الحياة وهذا بشكل ضدي، ومن هنا تبدو

" نفيسة المعطلة حركيا، لا تملك الاختيار في توجيه رؤية يبقى مجالها محدودا وفي اتجاه واحد" [(3)]

1- عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق،ط5،ص08.
[2]- المصدر نفسه ،ص 09.
[3]- رشيد بن مالك،مقدمة في السيميائية السردية

ندرك أن هذه الفتاة تختنق من هذا الوضع الاجتماعي السوداوي الذي تعيش فيه هذه القرية وسكانها حيث يجعلها منعزلة عن العالم الخارجي، وتقييد حريتها، مما يفقد البطلة جانبها الإنساني الحيوي ويؤدي بها إلى التذمر والانفجار والاختناق حيث تقول نفيسة " أكاد أختنق من هذا السكون وهذا الصمت "[1] وتستمر في حديثها مع نفسها حيث تقول: " أكاد أتفجر، أكاد أتفجر في هذه الصحراء"[2].

ويعود سبب تمرد نفيسة على هذا الجو الريفي وجو القرية هو احتكاكها بالمدينة وانجذابها حول مغرياتها الجامعية، وهذا راجع إلى الكاتب نفسه الذي أراد أن يضع نفسية البطلة في جو الإقطاع الذي سيقضي عليها ، ممّا يزيد الأحداث تأزما وتفقدا بمجرد وصول البطلة إلى القرية فالوضع الذي آلت إليه نفيسة، ناتج عن عدم مقدرتها في لحظات الشحنة والفراغ أن تتجاوز ذلك العائق الفضائي المشحون بمنعها من ممارسة حياتها بكل حرية، عكس ما عاشته في الجزائر العاصمة .

حيث تقول نفيسة " أن أمي تمنعني من الخروج هنا....في هذه القرية الخاليةْ !بينما في الجزائر حيث في كل خطوة رجل، أخرج دون أن ينكر على أحد ذلك فلماذا هنا الخروج عيب وهناك لا؟ أهنا مسلمون وهناك ملحدون؟ أم أن المرأة تتبدل حقيقتها من مكان إلى مكان؟" [3]

[1]- عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق،ص.5
[2]- مرجع نفسه،ص10
[3]- مرجع نفسه ،ص 38.

إن الفقر المدقع والجهل والأمية والنظام السائد في هذه القرية (نظام إقطاعي) جعل من هذه العوامل تنتشر في المجتمع الريفي فنجد مثلا الحاجة رحمة أو العجوز رحمة صانعة الفخار وهي كبيرة في السن وتعيش وحدها والفقر جعلها تشقى وتتعب من أجل الإقتتاء .أم لكسب لقمة العيش من جراء هذه الحرفة حتى أنّها رغم مرضها وتعبها وعدم بقاء صحتها كما كانت من قبل إلا أنها تبذل جهدا كبيرا من أجل البقاء والحفاظ على لقمة العيش وهذه الحرفة في آن واحد.

والشباب الضائع في هذا المجتمع القروي البائس الذي فيه القوي يأكل الضعيف بالمال والجاه والأملاك جعل من الشاب الوسيم القوي البنية " راجح يشتغل راعيا لدى والد نفيسة" هذا العمل الدائم واليومي الذي ليس فيه مستقبل كان سبب الرضا به هو البطالة والجهل والحرمان.[1]

[1]- مرجع نفسه،ص41.

المظهر الاقتصادي:

يعد ابن القاضي في هذا الأفق نموذجا لفئة مستغلة لا تفكر إلاّ في مصالحها الفردية وتطلعاتها الشخصية الآنية، وتسعى إلى تحقيقها بكافة الوسائل والقنوات المشروعة وغير المشروعة. وهذه الفئة التي ظهرت كالفطر والطحالب، عقب الاستقلال تشغل الظروف الطارئة ليتعرض المستعمرين، وبالتالي تستحوذ على كلّ الثروات حتى البشرية، فهي بمثابة مستعمر جديد في صورة مواطن وربما تبرم مع المستعمر السابق اتفاقيات بالتعاون فيما بينهما ولحماية مصالحهم أي أن المحتل طرد من الباب وعاد من النافذة ليفرض ثقافته ولغته واقتصاده.... !

فنفيسة كمثال لا تجسد ذلك الهم الإنساني في حياته، لصفتها ابنته بل يعتبرها سلعة بضاعة يمتلكها كسائر سلعه وبضائعه، وكباقي أراضيه الفسيحة وبقراته الحلوب.

لا يميز بين الإنسان كالذات، تثوي أحاسيس وأفكار ورغبات وبين الشيء الجامد !.. لكن العقبة الكأداء التي تحول دون طموحه، ليست نفيسة، فهذه لاتهمه ولا يعتبرها تشكل عائقا في تنفيذ خطته لأن المرأة في نظره هذه الفئة هي سواء كانت جاهلة أو مثقفة !.. والزوجة أيضا ليست إلاّ أثاثا بيتيا يملأ جنبات المنزل لا يعني من القضايا شيء ويمكنه الاستغناء عنه ، متى شاء !...

إذن العقبة هي (مالك) إذا ما أدرك هذه الرغبة !

(إنّ مالك شيخ البلدبة يمثل أكبر خطر بالنسبة لمصالحه لأن الأسلوب المعتمد في هذه القرية هو: القوي يأكل الضعيف (قانون الغاب) صاحب الأملاك والأراضي هو الذي له القيمة والشأن العالي أما الباقي فلا.

نلاحظ هنا أن ابن القاضي محا جميع المقومات الإنسانية لديه وتجرد من كل إنسانيته والمشاعر المحبة للأسرة (خوفه الكبير) على أملاكه التي هي أهم من زوجته وأولاده وعشقه للمال فارتأى أن يضحي بأغلى ما عنده (ابنته) فلذة كبده بالمقابل التي أراد أن يدفنها وهي حية مع من لا تعرفه حتى وأن يحتل فيها حب العلم والدراسة والاطلاع.

هذا النظام الاقتصادي الجائر (الإقطاع) حطم طموح الشباب وأغلق أبواب التطور وحكم عليهم بالسجن المؤبد في الحكم المتخلف والنظام المتخلف والراعي رابح أكبر دليل على ذلك فهو نتيجة الفقر والوضع المزري للقرية (انعدام مدارس أو مراكز التعليم) حتم عليه العمل عند ابن القاضي كراع للغنم رغم نيته القوية وصحته الفولاذية التي يستطيع بها أن يفتح آفاقا خيّرة على نفسه وعلى الشباب الآخرين لكن من يهتم لمصلحة هؤلاء الشبان إذا كانت المصلحة الخاصة أهم من المصلحة العامّة وكلّ هذا سببه المال.

المظهر التاريخي:

كتب هذه الرواية بعد الاستقلال أي بعد خروج الاستعمار الفرنسي لكن بقيت بعض الملامح والشظايا لهذا المستعمر لهذا المستعمر وبقى الخوف منه حيث نجد في الرواية ما يسمون " ريح القبلى " أي ريح الاستعمار أو مجيؤه وهذا هو المنحنى التاريخي الموجود في هذه الرواية فنجد مثلا:

العجوز (رحمة) تعكس، من خلال النص ، الذاكرة الشعبية الجزائرية، التي تخزن العادات، التقاليد، تحسن التاريخ النضالي للجزائر، تعرف المراحل بين الأجيال الثلاثة، الماضية، الآنية والآتية. ووسيلتها لتسجيل هذا التاريخ (إبداعاتها الطينية) المؤقتة لعقول الصغار والكبار تنقش في ذاكرتهم تاريخهم الحافل بالبطولات والنظالات المستميتة كأنها تقول لهم:"هكذا كان أجدادكم وآباؤكم، فأكملوا أنتم الرسالة" رحمة بذلك التاريخ المستعاد، يجسد الوعي الشعبي،ومن خلال هذا الزخم الروائي نلاحظ أنه عائد إلى سيولة الحكي.أو بتعبير آخر لملمة جملة من الأحداث والمواقف المتشابهة والمتشعبة والأحاسيس الوطنية المتضاربة الناتجة عن تحولات المجتمع الجزائري بعد الاستقلال وهو يصارع ذاته ويقطع الماضي الحزين، وإن كان فيما بعد أراد أن يصور لنا الماضي والتاريخ السابق وكيف تبدل خروج الاستعمار الذي ترك بعض الأشخاص مازالوا يسيرونا على خطاه من حيث الاستعباد والمصالح الشخصية.[1]

[1]- عبد الحميد بن هدوقة ،ص 58.

المبحث الثاني :

دراسة "لوسيان غولدمان" للبنية الدلالية داخل الرواية:

قبل شرح هدا المفهوم في فكر "غولدمان"، لا بد من تفسير معناها بحد ذاته، ثم دراسة الدور الدي تمثله في فهم النص و شرحه، ثم وضعه في إطار دلالي عام.

أ- **شرح هده المقولة**:

عندما يستعمل :"غولدمان" هده التسمية، فإنه يريد أن يركز على البنى التي تساعد الباحث على فهم لشمولية الظاهرة الاجتماعية التي يعبر عنها أحد المبدعين أو الفنانين؛ إن المقصود بكلمة البنية الدالة أو الدلالية، هو المعنى الداخلي لهده البنية الدي ينم عن وعي وعي جماعي معين"ولا تكون البنية الدلالية حاضرة في فكر جميع أفراد المجموعة البشرية، فإنها لا تتحقق بشكل استثنائي عن طريق الفكر العلمي أو الفلسفي، أو عن طريق العمل الاجتماعي أو العمل الفني الدي يقوم به أفراد متميزون"[1]، و لا تتحقق هده البنية إلا في ظروف خاصة،فلو أتى "نابليون" مثلا في حقبة أخرى من تاريخ فرنسا ،لنا تأتى له أن يصبح رمزا أساسيا من رموز الثورة الفرنسية،بالرغم من مزاياه و إمكانياته الفردية ،و بين الوضع التاريخي هي ما نسميه بالعبقرية ،و على هدا المنوال يجب أن نقيس بالنسبة للموضوعات الأدبية و الفلسفية و الفنية.ولا شك أن "غولدمان" اقتبس هده التسمية من مقولة"الشكل" و مقولته الشمولية التي عالجها في "التاريخ و الوعي الطبقي"،فيقول في كتابه "أبحاث جدلية": "أن مقولة البنية الدلالية تدل معا على الواقع و القاعدة لأنها تحدد في أن المحرك الحقيقي للواقع،و الهدف الدي تصبو إليه هده الشمولية التي هي المجتمع الإنساني، هده الشمولية التي يشترك فيها معا العمل الدي يجب دراسته، و الباحث الدي يقوم بهده الدراسة"[2].ونرى من خلال دلك أن البنية هي فاعل و مفعول،أي هي الواقع المدروس و الفاعل الدارس لها.

[1]- لوسيان غولدمان ،مرجع سابق،ص43.
[2]- أبحاث جدلية ،مرجع سابق،ص110.

ب-**البنية الدلالية و النص**:

تهدف دراستها إلى اكتشاف الوحدة الداخلية للنص، و تشكل مجمل العلاقات الأساسية داخل النص، ومن بينها العلاقة القائمة بين الشكل و المضمون، حيث يستحيل علينا فهم زاوية من زواياه، دون إحالتها إلى مجمل العلاقات هده، فالجزء مرتبط بالكل ، و يستحيل فهمه على حدة و دون إحالته إلى مجمل النص الدي يحمل كافة الإجابات الاجتماعية و التاريخية، التي تشكل رؤية معينة للعالم تبرز في تضاعيف النص،و لا بد هنا من الاستشهاد مجددا بما قاله "غولمان"،حول الجزء و الكل،حيث يقول :"كيف نستطيع فهم نص أو مقطع؟...بدمجهما في مجمل العمل المتماسك...أن معنى الجزء منوط بالمجمل المتماسك للعمل كله"[1]. ولا بد هنا من التذكير بأن مفهوم اللغة عند "غولدمان" – بما أن الدراسات اللغوية أصبحت تطغى على الأدب – يختلف عما هو عليه عند "فرديناند دو سوسير" ،فهو يرى أن اللغة هي لسان شعب من الشعوب، و إنما بحد ذاتها منقوصة، بعكس ما يراه "دو سوسير" و أتباعه، فاللغة برأيه مرتبطة بجماعة بشرية معين و لا يمكن فهمها دون ربطها بهده الجماعة؛ فيقول : "يبدو لي أن من بين الفروقات العديدة، هناك فرقا أساسيا بين اللغة و الكلام مفاده أن اللغة ذات طابع غير معبر،بينما الكلام دو طابع معبر،أجل لا تستطيع أية لغة بحد ذاتها أن تكون لها دلالة شاملة،لأن سبب وجودها ووظيفتها هو السماح بالتعبير عن كل المعاني، فاللغة لا تستطيع أن تكون متشائمة أو متفائلة ،لأنه يجب أن تتمكن من التعبير عن الفرح و الغضب و اليأس، و بالعكس فإن كل كلام يطبع بطابع المجتمع، أصبح بالضرورة معبرا في مجمله، أنه يدل على شيء ،مع أنه غالبا ما يحصل أن الخطاب هو خليط و يحمل عدة معاني،و أريد أن أقول أن علم اللغة هو دراسة لأنظمة الوسائل" .

[1]- الإله الخفي ،ص 22،يجب العودة الى القسم القريب مما نحن في صدده في فصل رؤية العالم

تتضمن "ريح الجنوب" الصراع القائم بين الشخصيات، و دلك من خلال الأفعال و دود الأفعال أو الحركة و التصرف المضاد لهده القيم، و تدهورها و دخولها عالم السوداوية، و الانحطاط بالنسبة للبطلة؛ و نلمح دلك من خلال التمييز القائم بين الرجل و المرأة،ينتج توزيعا فضائيا خاضعا لنظام القيم الذي يحكم علاقات الفاعلين في الوسط الريفي خاصة و المجتمع الجزائري عامة،هدا التغير الفضائي يرافقه تغير في القيم، فانتقال"نفيسة" من الجزائر العاصمة – المدينة – إلى القرية هو انتقال من نظام إلى نظام آخر مغايرا له تماما،

ومن ثمة يكون أمامنا خيارين: إما أن "تلغي ذاتها و تتبنى في فعله قيما لا تعرف نفسها فيها فتنسجم مكرهة، و تدخل في تواصل مع الآخر، و لو على حساب قناعتها، و إما أن تصد و تدخل في مواجهة أخرى دفاعا عن قناعتها"[1]،أما الخيار الثاني؛ فهو دلك الموقف الذي اتخذته"نفيسة"،حيث أنها ترفض هدا الواقع لأنها لم تحتمل وجود فروق جوهرية بين الرجل و المرأة في قريتها تلك، و غيابها عن المدينة،حيث يبدو "ابن القاضي" مستحوذا على القرية، متحكما فيها كما لو كانت آلة، إلى درجة السعي إلى تزويجها بـ"مالك" شيخ البلدية بغرض التقرب منه،لضمان حماية و حفظ ممتلكاته من عواقب زحف الإصلاح الزراعي و ما قد ينتج عنه من تأميم، و هدا هو الفعل الذي جعل من الأوضاع تتدهور و تتأزم داخل المجتمع من حيث جانب القيم.

لقد راحت"نفيسة" تقاوم رأي والدها، و هده هي الحركة المضادة، و الموقف المعاكس للموقف الأول، حيث جعلت والدها من العقلية المتخلفة و المتحجرة،و يتجلى دلك فيقول والدتها:"أبوك يعتزم تزويجك.."،و قول والدها:"أنا قررت أن تتزوج و قراري قضاء"[2].

[1]- رشيد بن مالك ،مقدمة في السيميائية السردية ،ص99.
[2]- عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص91.

فوالد"نفيسة"، يسعى إلى تنفيذ برنامج قهر؛ يتمثل في تزويج ابنته من شيخ البلدية، فيحتل موقع فاعل منفذ، يمارس أفعالا لتحقيق مصلحته و مصلحة غيره و لو على حساب مستقبل ابنته، فيصبح بدلك الفعل الإقناعي المشحون بالإجبار و التهديد واجبا و القبول به حقيقة واردة في اعتقاده. و بما أن "نفيسة" لا تزال صغيرة ، فإنها لم تصل بعد إلى درجة امتلاك الفعل التأويلي المتموضع على الصعيد التداولي، الذي يمكنها تكييفه حسب منفعتها،و بالتالي يجب عليها قبول الواقع و الانقطاع عن الدراسة.، و قضاء حياتها في سجن تلك القرية الصغيرة، و تضيع منها مدينة الجزائر- الحلم و المستقبل- ،و يتجلى دلك في قول والدتها:"أبوك أراد دلك لن تعودي إلى العاصمة"[1]،و من ثمة ينشأ صراع آخر بين "نفيسة" و والدها منشئة دالك التقابل الموجود بين عالم الريف و عالم المدينة، فترفض فكرة والدها و تزويجها،دلك أنها تريد مواصلة الدراسة،حيث تقول:"قولي له لن أتزوج و لن أنقطع عن دراستي،سأعود إلى العاصمة مهما كان الحال".و يمكن أن يعتبر هدا الرفض جزءا من تمردها على قيم و عادات قريتها،دلك أنها تسعى إلى ممارسة حريتها الفردية، تلك الحرية التي تشبعت بها في العاصمة.

يتضح لنا مما سبق أن فضاء و جو القرية العام هو مرتبط بالقيم المستثمرة فيه،فرفض "نفيسة" لهدا الوضع الناتج عن قناعتها بأن العيش فيه تتسم بالقبح و المرارة، نتيجة لغياب المرافق الضرورية للحياة، بالإضافة إلى قيم القرية التي تفتقد فيها المرأة لجانب من إنسانيتها، و دلك بالفرق الواضح بين الرجل و المرأة،و خضوع المرأة لسلطة الرجل، فتمردت"نفيسة" على تلك السلطة، مما زاد من حنينها إلى المدينة ،و قيمها التي تخالف تماما قيم القرية التي تسكنها،كل دالك جعلها تصف الجو الريفي بالسجن في انغلاقه، و هو نموذج لسجن رمزي تعيشه هده الفتاة، و هو جو و فضاء غير محقق داخل أدبية النص الروائي.

إن "نفيسة" هنا تفقد قيمة نفسها، و حريتها الكاملة،نفسيا و حركيا، حيث تعد القرية بما فيها سجنا مؤبدا، بعد رفض والدها فكرة رجوعها إلى العاصمة و إكمالها الدراسة،و دلك للقيود المفروضة على المرأة، إذ أن "فكرة الكبل الداخلي هده هي جوهر السجن الرمزي " [2].

[1]- عبد الحميد بن هدوقة المرجع نفسه ،ص 86.
[2]- الرشيد بن مالك ،مرجع سابق ،ص 102.

يعبر معنى السجن عند البطلة عن الفضاء أو المجال الذاتي الدال على حساسية مفرطة تجاه قريتها، و تجاه الرجل ، فعناصره المادية تظل عالقة بدهنها،ونحن من خلال دراستنا هده ،توجب علينا تقبل هدا الفضاء، و تقبل رأي البطلة"نفيسة" رغم أنه غير متحقق داخل أدبية هذا النص نظرا لمعرفتنا بالوضع الاعتباري للمرأة في المجتمع الجزائري و خاصة في القرى.

الخاتمة:

من خلال الدراسة التي قمنا بها، يمكن القول أن "ابن هدوقة" استطاع أن يقدم من خلال الرواية تلك الصورة الجادة و الدقيقة عن القهر، من خلال عرضه المفصل لأشكاله التي يمكن أن يكون عليها، و بصورة أخص القهر الاجتماعي، و الذي يتضمن بدوره القهر النفسي ،كدالك نلمح حسن بلورة الأدوار المختلفة على الشخصيات و السلوكات الناجمة عن كل شخصية و دلالاتها،إضافة إلى ترتيب الأحداث و تسلسلها، و عرض الصراعات المتضاربة ، و التي تظهر السمات و الملامح للشخصيات المساعدة و المعارضة للشخصيات الفاعلة و المهدمة للقيم داخل المجتمع الجزائري،و التي لها الفضل في انتشار عامل القهر بأنواعه و أشكاله، كما أنه بين لنا بعض الظواهر الاجتماعية و الآفات المنتشرة،و التي كانت السبب المباشر فيهدم المجتمع، و تحطيم المجهودات التي بدلها الأشخاص في بناء المجتمع، كالفقر و الجهل و الأمية، و التي هي وليدة النظام الإقطاعي السائد أنداك، و الذي خلفه المستعمر،و مشى على نظامه خلفاؤه.

كل هده العناصر ولدت أشكال قهرية مختلفة استطاعت شخصيات "ابن هدوقة" الاضطلاع بدورها على أكمل وجه،و دلك لوجود وسائل مساعدة على هدا العمل، و إيصال الرسالة عن الوضع و الوسط السوداوي للمعيشة داخل مجتمع كتب له أن يعيش حياة القهر و الظلم، الممارس من قبل الظالم على المظلوم، و دلك حتى من قبل أقرب المقربين- قهر الأب لأسرته-.

و كإجابة عن الإشكالية المطروحة، و التي تتمحور حول الآثار و العواقب التي يتركها القهر في المجتمعات، يمكن القول أن "عبد الحميد بن هدوقة"،قد وفق إلى حد كبير في الوقوف على هده الآفة التي ما فتئت تفتك بالمجتمع، و تسهم في القضاء على الشخصية، و هو ما يساهم في طمس الهوية، والتأثير في الأفراد من خلال الحرمان من أبسط الحقوق و، هو التعبير عن الإرادة الشخصية،ما يؤدي إلى إحلال تلك الحالة من الأمن، ما يحدث تلك الهوة المضرة بالمجتمع و على كل الأصعدة.

في الأخير نقول أن "ابن هدوقة"، صور لنا المجتمع الجزائري بصفة عامة و القروي بصورة خاصة بعد الحقبة الاستعمارية، حيث يتجلى لنا آثار و مخلفات الاستعمار،و التي يعد القهر من مظاهرها.

قائمة المصادر و المراجع

- مصطفى فادي ، دراسة في الرواية الجزائرية.
- سعيد بن كراد ،سيميولوجيا الشخصيات السردية .
- بيتر غيل وجيفري بونتون،مقدمة في علم السياسة .
- فؤاد عبد الله،آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي .
- سيزار قاسم ،جماليات المكان .
- ماجيستير بناء الرواية الجزائرية،الدكتور رابح الأطرش.
- مصطفى فاسي ،دراسة في الرواية الجزائرية.
- خالد رشيد القاضي،لسان العرب.
- حسين نجمي ،شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)

- Grimas :sémantique structare .
- Grimas : les acquis et les projets .

الفهرس

مقدمة :

الفصل الأول : البنيوية الشكلية في الرواية .

مدخل عام..... 01

مفهوم القهر..... 02

أنواع القهر..... 04

المبحث الأول : الشخصيات القاهرة على مستوى الوظائف..... 07

المبحث الثاني : الشخصيات القاهرة على المستوى النفسي و الاجتماعي..... 11

المبحث الثالث : الشخصيات المقهورة على مستوى الوظائف..... 14

المبحث الرابع : الشخصيات المقهورة على المستوى النفسي و الاجتماعي..... 16

المبحث الخامس : قهر المكان والزمان من خلال الرواية 23

الفصل الثاني : الحركة المضادة لتدهور القيم في المجتمع.

المبحث الأول : المظهر الاقتصادي والاجتماعي والتاريخي في ريح الجنوب.... 26

المبحث الثاني : دراسة "لوسيان غولمان" للبنية الدلالية داخل الرواية..... 34

خاتمة.

قائمة المصادر و المراجع .